

مَحْبُوبٌ مِنَ اللَّهِ

المحاضرة ١١: المَحَبَّةُ الثَّابِتَةُ

أر. سي. سبرول

تُتَابِعُ الْآنَ دِرَاسَتَنَا لِكُورِنْتُوسِ الْأُولَى ١٣ حَيْثُ نَرَى انْعِكَاسًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ نَفْسَهَا، وَقَدْ قِيلَ لَنَا إِنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَحْسِدُ. فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، يَتِمُّ اتِّبَاعُ أُسْلُوبِ النَّفِيِّ. مَا يَقُولُهُ لَنَا بُولُسُ لَا يَصِفُ مَا هِيَ الْمَحَبَّةُ، بَلْ إِنَّهُ يُخْبِرُنَا بِمَا لَيْسَتْ الْمَحَبَّةُ عَلَيْهِ، وَالْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ. أَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمُهِّمِّ أَنْ إِحْدَى الْوَصَايَا الْعَشْرِ، إِحْدَى الْخَطَايَا الْعَشْرِ الْأُولَى الَّتِي يَحْظَرُهَا اللَّهُ، هِيَ حَظْرٌ لِحَظِيَّةِ اشْتِهَاءِ مُلْكِ الْغَيْرِ، لِأَنَّ الْاشْتِهَاءَ هُوَ أَسَاسُ الْعُنْفِ الَّذِي يَفْعَلُهُ أَحَدُنَا بِالْآخَرِ، فَيُدَافِعُ الْغَيْرَةَ وَيُدَافِعُ الْحَسَدَ يُمَرِّقُ النَّاسَ أَحَدَهُمُ الْآخَرَ.

ذَاتَ مَرَّةٍ قَرَأْتُ مَقَالَةً عَنِ التَّحْرِيْبِ الْمُتَعَمِّدِ، مَقَادِمًا أَنَّ الشَّكْلَ الْأَكْثَرَ شَرَّاسَةً لِانْتِهَاكِ مُمْتَلَكَاتِ الْآخَرِينَ، لِأَنَّ مَا يَفْعَلُهُ الْمُخْرَبُ وَمَا يُمَيِّزُهُ عَنِ السَّارِقِ هُوَ أَنَّ السَّارِقَ يَسْلُبُ مُمْتَلَكَاتِ الْغَيْرِ، وَمَا يَفْعَلُهُ الْمُخْرَبُ هُوَ تَدْمِيرُ مُمْتَلَكَاتِ الْآخَرِ. إِنَّهُ يَمْشِي فِي مَوْقِفِ السِّيَّارَاتِ وَيَرَى سَيَّارَاتٍ بَاهِظَةً الثَّمَنِ لَا يُمَكِّنُهُ شَرَاؤُهَا فَيُخْرِجُ مُفْتَاخَهُ وَيَعْبَثُ بِالْمَسَمَةِ الْأَخِيرَةِ لِتِلْكَ السِّيَّارَاتِ، إِنَّهُ لَا يَسْعَى إِلَى الْحُصُولِ عَلَى تِلْكَ السِّيَّارَةِ. مَا فَعَلَهُ هُوَ بِبَسَاطَةٍ تَخْرِيْبُ مُمْتَلَكَاتِ أَحَدِهِمْ. مَا الَّذِي يَدْفَعُ إِلَى فِعْلِ ذَلِكَ؟ إِنَّهُ الْحَسَدُ وَالْغَيْرَةُ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَحَبَّةِ فِعْلُ أَمْرِ مُمَاتِلٍ بِأَحَدِهِمْ.

رُبَّمَا الْقِصَّةُ الْأَكْثَرُ إِثَارَةً لِلْمَشَاعِرِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَنْ عَوَاقِبِ الْحَسَدِ هِيَ قِصَّةُ يُوسُفَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، الَّذِي، وَنَتِيجَةَ حُصُولِهِ عَلَى ذَلِكَ الْقَمِيصِ الرَّائِعِ وَالْمَلَوْنِ مِنْ أَبِيهِ، حَقَّقَ بَاقِيَ إِخْوَتِهِ غَيْرَةً، وَحَوَّلُوا عَدَائِيَّتَهُمْ ضِدَّ يُوسُفَ وَبَاعُوهُ لِتُجَّارِ الرِّبْقِيِّ، فَانْتَهَى بِهِ الْأَمْرُ مَرَمِيًّا فِي السِّجْنِ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ بَعْدَ سَنَةٍ، وَذَلِكَ كُلُّهُ نَتِيجَةُ حَسَدِ إِخْوَتِهِ. إِذَا، إِنْ نَظَرْنَا إِلَى الْعَالَمِ الْيَوْمَ وَرَأَيْنَا نِسْبَةَ الضَّرْرِ الْمُلْحَقِ بِالْمُمْتَلَكَاتِ وَالْبَشَرِ نَتِيجَةَ الْحَسَدِ، فَإِنَّا نَرَى لِمَاذَا حَظَرَهُ اللَّهُ ضَمْنَ الْوَصَايَا الْعَشْرِ الْأُولَى الَّتِي أَعْطَاهَا لِإِسْرَائِيلَ، وَكَيْفَ أَنَّهُ مُنَاقِضٌ لِلْمَحَبَّةِ، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَفْرَحُ بِازْدِهَارِ الْآخَرِ. الْمَحَبَّةُ تَفْرَحُ بِسَعَادَةِ الْآخَرِ. إِنْ كُنَّا نُحِبُّ الْآخَرِينَ فَإِنَّا نَفْرَحُ بِرُؤْيِيَّتِهِمْ يَحْضُلُونَ عَلَى بَرَكَاتٍ فَشِلْنَا نَحْنُ أَنْفُسَنَا فِي الْحُصُولِ عَلَيْهَا.

إِذَا، يُطْلَعُنَا بُولُسُ عَلَى مَا هِيَ الْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ. هَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ اللَّهُ يَحْسِدُ شَخْصًا أَوْ شَيْئًا؟ هَلْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ الْمَسِيحَ يَغَارُ مِنْ أَحَدِهِمْ؟ ثُمَّ يُتَابِعُ قَائِلًا "الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ، وَلَا تَتَفَخَّحُ، وَلَا تَفْبَحُ". حِينَ كَلَّمَ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى، نَجِدُ سَرْدًا لِذَلِكَ فِي مَتَّى ٢٣، حَيْثُ قَالَ يَسُوعُ "عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ، فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ، وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لَا تَعْمَلُوا، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ. فَإِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالًا ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَصْعُقُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ، وَهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَحْرِكُوهَا

بِإِصْبِعِهِمْ، وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ: فَيُعْرِضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعْظَمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ، وَيُحِبُّونَ الْمُنْكَأَ الْأَوَّلَ فِي الْوَلَائِمِ، وَالْمَجَالِسِ الْأَوْلَى فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ: سَيِّدِي سَيِّدِي!"

إِنَّهُ يَصِفُ هُنَا مَا هِيَ تِلْكَ الْمَجْمُوعَةُ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانُوا أَلَدَّ أَعْدَاءِ لِيَسُوعَ وَكَانُوا مُرَائِينَ. كَانُوا قَوْمًا مُنْتَفِحِينَ. قِيلَ لَنَا إِنَّ الْمَعْرِفَةَ تَنْفُخُ أَمَّا الْمَحَبَّةُ فَهِيَ تَبْنِي، لَكِنَّ الْفَرِيْسِيِّينَ سَعَوْا إِلَى أَنْ يَعْرِضُوا بِنَبَاهِ مَكَانَتِهِمْ وَغِنَاهُمْ وَمَنْصِبِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ، وَأَحْبَبُوا أَفْضَلَ الْمَقَاعِدِ فِي الْمَجْمَعِ، وَأَحْبَبُوا الْعِظْمَةَ وَالْأُبْهَةَ الَّتِي كَانُوا يَتَأَلَوْنَهَا حِينَ يَهْتَمُّ النَّاسُ بِهِمْ. وَنَحْنُ جَمِيعًا عُرْضَةٌ لِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِغْرَاءِ لَكِنْ لَيْسَتْ هَذِهِ مَحَبَّةً، فَالْمَحَبَّةُ لَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا. الْمَحَبَّةُ لَا تَطْلُبُ الْأَضْوَاءَ طَوَالَ الْوَقْتِ، وَالْمَحَبَّةُ لَا تَطْلُبُ عَرْضًا مُتَبَاهِيًا لِنَفْسِهَا. "الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ"، هَذَا مَا يَقُولُهُ بُولُسُ عَنْهَا.

أَحْبَابًا يَتِمُّ وَصْفُنَا عَلَى أَنَّهَا تَتَبَاهَى كَالطَّائُوسِ، لِأَنَّهَا تَرَى كَيْفَ أَنَّ الطَّائُوسَ يَخْتَالُ وَيَنْفُخُ رِيشَ ذَيْلِهِ مُبِينًا جَمَالَهُ الرَّائِعِ. وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ النَّبَاهِي يُنْسَبُ إِلَى الذِّبِكِ أَكْثَرَ مِمَّا يُنْسَبُ إِلَى الطَّائُوسِ. إِنْ لَمْ تَتَسَنَّ لَكَ أَبَدًا فُرْصَةٌ رُؤْيَةِ ذِيكَ رُومِيَّ يَخْتَالُ فِي مَوْسِمِ التَّرَاوُجِ، فَقَدْ فَاتَكَ وَاحِدٌ مِنْ أَرْوَاعِ الْمَشَاهِدِ فِي الطَّبِيعَةِ. رُبَّمَا رَأَيْتُ أَلْفِي ذِيكَ رُومِيَّ فِي الْعَابَةِ قَبْلَ أَنْ تَتَسَنَّى لِي فُرْصَةٌ رُؤْيَةٍ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي مَوْسِمِ التَّرَاوُجِ، حِينَ يَنْتَفِخُ وَيَنْفُخُ رِيشَ ذَيْلِهِ، وَالذِّبِكُ الرَّومِيُّ يَتَجَوَّلُ قَائِلًا "انظروا إليّ"، كَمَا جَاءَ فِي الْمَقُولَةِ الْقَدِيمَةِ "أَنَا أَعْظَمُ نَمْرٌ فِي الْأَدْغَالِ"، "أَنَا أَعْظَمُ طَيْرٌ فِي الْعَابَةِ"، هَذَا مَا يَقُولُهُ الذِّبِكُ الرَّومِيُّ وَهُوَ يَتَبَاهَى أَمَامَ الدَّجَاجَةِ. هَذَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، نَحْنُ نُحِبُّ التَّفَاخَرَ وَالْإِنْتِفَاحَ قَائِلِينَ "انظر إليّ". يَقُولُ بُولُسُ لَيْسَتْ هَذِهِ مَحَبَّةً، "الْمَحَبَّةُ لَا تَنْتَفِخُ وَلَا تَتَفَحَّحُ".

مُؤَخَّرًا وَفِي أَحَدِ مُؤْتَمَرَاتِ خِدْمَةِ "لِيجُونِير"، رَوَى الْقِصَّةَ "سِينْكَلِيرِ فِرْغُوسُونَ" مِنْ اسْكُتْلَنْدَا حَوْلَ مَا جَرَى سَابِقًا فِي إِنْكِلْتْرَا حِينَ كَانَتْ الْمَلِكَةُ إِلِيْزَابِيثَ لَا تَرَالُ أَمِيرَةً وَأُخْتَهَا الْأَمِيرَةَ مَارْغَارِيْتِ تَلَقَّيْنَا دَعْوَةَ إِلَى حَفْلَةٍ رَاقِصَةٍ حِينَ كَانَتَا لَا تَرَالَانِ مُرَاهِقَتَيْنِ. كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ الْأَمِيرَةُ إِلِيْزَابِيثَ مَلِكَةً، فَاسْتَدْعَتِ الْأُمُّ الْمَلِكَةَ الْفَتَاتَيْنِ إِلَى عُرْفَتَيْهِمَا وَقَالَتْ لَهُمَا "تَدَكَّرَا أَيُّهُمَا الْفَتَاتَانِ حِينَ تَخْرُجَانِ اللَّيْلَةَ إِلَى الْحَفْلَةِ الرَّاقِصَةِ الْأَدَابِ الْمَلِكِيَّةِ"، الْأَدَابِ الْمَلِكِيَّةِ. أَنَا أَقْرَأُ كِتَابًا الْآنَ بِقَلَمِ "جِيرَامَايَا بُوْرُوز" الْكَاتِبِ الْبُورِيْتَانِيَّ، حَوْلَ مُحَادَثَاتِ الْإِنْجِيلِ. وَكَمَا جَاءَ فِي عِظَاتِهِ حَوْلَ رِسَالَةِ فِيلِيبِّي إِنَّهُ يَجْدُرُ بِمُحَادَثَاتِنَا أَنْ تَكُونَ كَمَا يَحِقُّ لِلْإِنْجِيلِ. وَبِالطَّبَعِ، حِينَ يَسْتَعْمِلُ كَلِمَةَ "مُحَادَثَةٍ"، فَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ عَنْ تَحَدُّثِ النَّاسِ أَحَدُهُمْ مَعَ الْآخَرِ. إِنَّهَا الْكَلِمَةُ الْبُورِيْتَانِيَّةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى السُّلُوكِ. بِتَعْبِيرٍ آخَرَ، يَدْعُونَا الْعَهْدُ الْجَدِيدُ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا إِلَى أَنْ نَسْلُكَ كَمَا يَحِقُّ لِمُجَاهَرَّتِنَا بِالْإِنْجِيلِ، تَمَامًا كَمَا قَالَ "سِينْكَلِيرِ فِرْغُوسُونَ".

حِينَ ذَهَبَتْ هَاتَانِ الْأَمِيرَتَانِ إِلَى الْحَفْلَةِ الرَّاقِصَةِ كَانَ عَلَيْنَهُمَا السُّلُوكُ وَفُقَ مَعَايِيرَ سَامِيَّةٍ، كَانَ عَلَيْنَهُمَا أَنْ تَكُونَا مِثَالًا لِآدَابِ الْبِلَاطِ الْمَلَكِيِّ. بِالْمُنَاسَبَةِ، عَبَّرَ دَمَجُ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ "الْبِلَاطِ الْمَلَكِيِّ" وَ"الْآدَابِ" نَحْصُلُ عَلَى كَلِمَةٍ "كِيَّاسَةٍ"، فَالْكِيَّاسَةُ تَعْنِي آدَابَ الْبِلَاطِ الْمَلَكِيِّ. إِذَا، ذَكَرَتِ الْأُمُّ الْمَلِكَةُ الْفَتَاتَيْنِ قَائِلَةً "حِينَ تَخْرُجَانِ إِلَى الْأَمَاكِنِ الْعَامَّةِ أَنْتُمَا تُمْتَلَانِ التَّاجَ الْمَلَكِيِّ. أَنْتُمَا تُمْتَلَانِ الْمَمْلَكَةَ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ سُلُوكُكُمَا مَلَكِيًّا. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ سُلُوكًا يَلِيقُ بِالْمَمْلَكَةِ، سُلُوكًا مَلَكِيًّا أَيُّهَا الْفَتَاتَانِ". وَنَحْنُ أَوْلَادُ مَلِكِ الْمُلُوكِ، وَلَا يَجْدُرُ بِأَوْلَادِ مَلِكِ الْمُلُوكِ أَنْ يُعْبَحُوا. لَا يَجْدُرُ بِأَوْلَادِ مَلِكِ الْمُلُوكِ أَنْ يَكُونُوا غَيْرَ مُهَذَّبِينَ، لَكِنَّا دُعِينَا كَمُؤْمِنِينَ إِلَى السُّلُوكِ بِآدَابِ أَخْلَاقِيَّةٍ أَسْمَى مِنْ آدَابِ ابْنَتِي مَلِكَةَ إِنْكَلْتَرَا. دُعِينَا إِلَى السُّلُوكِ بِآدَابِ مَلَكِيَّةٍ فَائِقَةٍ لِلطَّبِيعَةِ.

إِذَا، يَقُولُ الرَّسُولُ إِنَّ الْمَحَبَّةَ، مَحَبَّةَ اللَّهِ الْآغَابِيَّ، "لَا تَقْبَحُ وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا". حِينَ أَقُولُ إِنِّي أَتَسَاءَلُ لِمَذَا يُحِبُّ النَّاسُ هَذَا النَّصَّ كَثِيرًا فِي حِينِ أَنَّهُ مُدْمَرٌ جِدًّا فِي نَفْسِهِ لِسُلُوكِنَا، يَكُونُ ذَلِكَ أَتْنَاءَ تَفْكِيرِي فِي هَذَا الْجَانِبِ: "الْمَحَبَّةُ) لَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا". أَضْعَبُ أَمْرًا عَلَى أَيِّ مُؤْمِنٍ وَعَلَى أَيِّ إِنْسَانٍ هُوَ طَلَبُ رَفَاهِيَّةِ شَخْصٍ آخَرَ فَوْقَ رَفَاهِيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ. نَحْنُ نَعِيشُ مَعًا وَلَدَيْنَا عَائِلَاتُنَا وَلَدَيْنَا زَوْجٌ وَزَوْجَةٌ، وَزَوْجَةٌ تُرِيدُ شَيْئًا مَا فَأَقُولُ "حَسَنًا أَنْتِ تُرِيدِينَ ذَلِكَ يَا حَبِيبَتِي لَكِنِّي أَفْضَلُ إِنْفَاقَ الْمَالِ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى"، أَوْ "أُرِيدُ فِعْلَ هَذَا الْأَمْرِ اللَّيْلَةَ بَدَلًا مِمَّا تُرِيدِينَ فِعْلَهُ". لَيْسَتْ هَذِهِ مَحَبَّةٌ، فَالْمَحَبَّةُ لَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلَا تَطْلُبُ أَنْ تُحَقِّقَ مُبْتَغَاهَا طَوَالَ الْوَقْتِ، لَكِنَّ الْمَحَبَّةَ حَسَاسَةً إِلَى اِحْتِيَاجَاتِ الْآخَرِينَ وَرَعَابَتِهِمْ.

هَذَا مَا يَفْعَلُهُ يَسُوعُ، "أَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ، وَلَكِن لِيَكُنْ لِي مَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتِ". آخِرُ أَمْرٍ أُرِيدُ فِعْلَهُ هُوَ طَلَبُ مَا لِنَفْسِي، أُرِيدُ أَنْ أَتَمَّ مَشِيئَتَكَ لَا مَشِيئَتِي. هَذَا الْإِظْهَارُ الْفَائِقُ لِلْمَحَبَّةِ يَفُوقُ فَهْمَنَا، لِأَنَّنَا بِطَبِيعَتِنَا أَنَانِيُونَ وَمُتَمَرِّكِرُونَ حَوْلَ ذَوَاتِنَا. نَحْنُ نَطْلُبُ مَا لِنَفْسِنَا أَوْلًا بَدَلًا مِمَّا لِلْآخَرِينَ، وَتَلَرْمُنَا مَحَبَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ لِنَهْتَمَّ بِالْآخَرِينَ قَبْلَ أَنْ نَهْتَمَّ بِأَنْفُسِنَا. وَأَعْتَقِدُ أَنَّ أَيَّ مُؤْمِنٍ يَتَذَكَّرُ أَوْقَاتًا فِي حَيَاتِهِ أَعْطَى فِيهَا مَصَالِحَ الْآخَرِينَ أَوْلَوِيَّةً فَوْقَ مَصَالِحِهِ، وَاتَّخَذَ قَرَارَاتٍ لِمُسَاعَدَةِ الْآخَرِينَ عَالِمًا أَنَّ الْأَمْرَ يُؤَدِّيهِ. أَنَا أَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ. أَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ غَيْرَ طَبِيعِيٍّ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَمَّا أَمَكْنَا فِعْلَ ذَلِكَ لَوْلَا هَذِهِ الْمَحَبَّةُ الْمُنْسَكِبَةُ فِي قُلُوبِنَا.

لَكِن حَتَّى هَذِهِ الْمَحَبَّةُ الْآغَابِيَّةُ "الْمُنْسَكِبَةُ فِي قُلُوبِنَا لَا تَخْرُجُ فَوْرًا مِنْ قُلُوبِنَا جَمِيعِ الْمَيُولِ الْإِثْمَةِ وَالشَّهَوَاتِ الْإِثْمَةِ الَّتِي تُشَكِّلُ جُزْءًا مِنْ طَبِيعَتِنَا السَّاقِطَةِ وَالْفَاسِدَةِ. مُجَدَّدًا، يَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ الْمَيْلَ الْأَسَاسِيَّ لَدَى أَيِّ إِنْسَانٍ هُوَ طَلَبُ مَا لِنَفْسِهِ أَوْ مَا لِنَفْسِهَا، وَقَدْ أُعْطِيتِ الْمَحَبَّةُ لِلتَّغْلِبِ عَلَى ذَلِكَ. كَانَ لَدَيَّ صَدِيقٌ - كُنْتُ أَلْعَبُ الْوَرَقَ مَعَ الشُّبَّانِ فِي مَلْعَبِ الْغُولْفِ بَعْدَ أَنْ يَلْعَبُوا الْغُولْفَ - وَهُوَ كَانَ لَطِيفًا دَائِمًا، وَكَانَ يَسْتَمْتِعُ دَائِمًا بِالصَّدَاقَةِ وَبِلَعِبِ الْوَرَقِ مَعَ الشُّبَّانِ، وَكَانَ يَرَبِّحُ أحيانًا وَيَخْسِرُ فِي أُخْرَى، وَلَمْ تَكُنْ تُلَاحِظُ أَيَّ فَرْقٍ فِي سُلُوكِهِ حِينَ يَخْسِرُ مُقَارَنَةً بِمَا يَكُونُ عَلَيْهِ حِينَ يَرَبِّحُ. فِي حِينِ أَنْ بَعْضَ الشُّبَّانِ مَتَى خَسِرُوا كَانُوا يُحَدِّثُونَ نَوَابِتَ غَضَبٍ، وَكَانُوا

يَأْخُذُونَ الْوَرَقَ وَيُمَرِّقُونَهُ وَيَرْمُونَهُ فِي أَرْجَاءِ الْعُرْفَةِ. رَأَيْتُ أَنَا سَا يُمَسِّكُونَ مَنَافِضَ السَّجَائِرِ وَيَضْرِبُونَ بِهَا عَرْضَ الْحَائِطِ حِينَ يَخْسِرُونَ.

كَانَ الْأَمْرُ لَا يُصَدِّقُ، فِي حِينٍ يُحَافِظُ هَذَا الشَّابُّ عَلَى رِبَاطَةِ جَأْشِهِ، وَإِنْ خَسِرَ لَا بَأْسَ فِي الْأَمْرِ. فَقُلْتُ لَهُ "بُوب، لَا يَبْدُو أَنَّ الْخَسَارَةَ تُزْعِجُكَ"، فَقَالَ "لَا"، فَقُلْتُ "لِمَاذَا؟" فَقَالَ "أَنَا أُرَبِّحُ حِينَ أَخْسِرُ"، فَقُلْتُ "مَا الَّذِي تَقْصِدُهُ؟" فَقَالَ "إِنْ خَسِرْتَ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ أَحَدَ رِفَاقِي رِيحٌ، وَبِالْتَّالِي فَهُوَ يَسْتَمْتِعُ بِالرِّيْحِ وَيُمْكِنُنِي الْمُشَارَكَةَ فِي ذَلِكَ. يُمَكِّنُنِي أَنْ أَسْتَمْتِعَ بِالْأَمْرِ مَعَهُ. أَنَا أَمْضِي وَقَفْنَا مُمْتِعًا، لَا يَهُمُّ مَا إِذَا رَحْتُ أَوْ خَسِرْتُ". وَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَدَّعِي، فَهُوَ كَانَ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ فِعْلًا، فَهُوَ كَانَ مَوْجُودًا هُنَاكَ لِتَمْضِيَةِ الْوَقْتِ مَعَ أَصْدِقَائِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَهُمُّهُ فِعْلًا مَنْ يَرَبِّحُ وَمَنْ يَخْسِرُ. وَتَرَوْنَ ذَلِكَ أَحْيَانًا بَيْنَ الرِّيَاضِيِّينَ الْكِبَارِ، يَقُولُ "مُهْمَّتِي تَقْضِي بِأَنَّ أَقْدِمَ أَفْضَلَ أَدَاءٍ، لَكِنْ إِنْ رِيحٌ خَصَمِي فَسَأَصْفِقُ لَهُ وَسَأَفْرَحُ وَأَبْتَهَجُ بِحِمَاسَتِهِ وَمَرَحِهِ". ثُمَّ مَقُولَةٌ فِي الْغُولْفِ "كُلُّ صَرْبَةٍ تَجْعَلُ أَحَدَهُمْ سَعِيدًا"، أَيَّ أَنْتَ إِنْ قُمْتَ بِتَسْدِيدِهِ مُوقَفَةً تَكُونُ أَنْتَ سَعِيدًا، وَإِنْ قُمْتَ بِتَسْدِيدِهِ غَيْرِ مُوقَفَةٍ يَكُونُ خَصْمُكَ سَعِيدًا. لَكِنَّ هَذِهِ نَظْرَةٌ سَاحِرَةٌ لِلْأَمْرِ، وَيَجِبُ عَلَى الْمَحَبَّةِ أَنْ تَسْمُوَ فَوْقَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا الْاسْتِمْتَاعَ بِأَزْدِهَا الْآخَرَ وَنَجَاحِهِ.

"الْمَحَبَّةُ لَا تَحْتَدُّ." مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ لِلْمَحَبَّةِ فِتِيلٌ قَصِيرٌ. الْمَحَبَّةُ لَيْسَتْ سَيِّئَةَ الْمِرَاجِ. ذَاتَ مَرَّةٍ قَالَ لِي أَحَدُ مُقَدِّمِي الْمَشُورَةِ إِنَّ لَدَى الْكُلِّ أَلْغَامًا فِي شَخْصِيَّتِهِ، أَيَّ الْأُمُورِ الَّتِي تُثِيرُ حَسَاسِيَّتَنَا بِشَكْلِ خَاصٍّ، أَوْ الْأُمُورِ الَّتِي تُثِيرُ الْإِنْفِعَالَ. حِينَ تَرَى شَخْصًا هَادِنًا جِدًّا يَسْهُلُ التَّعَايُشُ مَعَهُ وَأَنْتَ تَعِيشُ مَعَهُ بِسَلَامٍ وَقَفْجَاءَةٍ يَنْفَجِرُ، فَتَقُولُ "لَقَدْ دُسْتُ لِلتَّو عَلَى لَعْمٍ لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ بِوُجُودِهِ". لَدَى الْبَعْضِ شَخْصِيَّاتٌ مُكَوَّنَةٌ بِطَرِيقَةٍ تَجْعَلُهَا تَحْوِي أَلْغَامًا قَلِيلَةً جِدًّا مَدْفُونَةً فِي حَقْلِهَا. يُمَكِّنُكَ السَّيْرُ فِي حَقْلِهِمْ طَوَالَ سَنَوَاتٍ عِدَّةٍ بِدُونِ أَنْ تَدُوسَ عَلَى أَيِّ لَعْمٍ، وَثُمَّ أَنَا تَعْلَمُ أَنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَى بُوصَلَةٍ لِلسَّيْرِ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ. أَنْتَ تَسِيرُ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ كَمَا عَلَى قَشْرِ بَيْضٍ، لِأَنَّكَ أَيْنَمَا اسْتَدْرَتِ تَكَادُ تَدُوسُ عَلَى لَعْمٍ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يُسْتَفْزِرُونَ بِسَهُولَةٍ، إِنَّهُمْ سَيِّئُو الْمِرَاجِ.

أَذْكَرُ بِصَرَاحَةٍ أَنِّي وَقَبْلَ أَنْ أُؤْمِنَ بِالْمَسِيحِ كُنْتُ سَيِّئَ الْمِرَاجِ، كُنْتُ مُتَهَوِّرًا. وَفِي سَنَتِي الْأَخِيرَةِ فِي الْمَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ كَانَ لَدَيْنَا عَشْرُ مُبَارِيَّاتٍ بَيْنَسُبُولٍ خِلَالَ الْفَصْلِ الدِّرَاسِيِّ، وَقَدْ تَمَّ طَرْدِي مِنْ ثَلَاثٍ مِنْهَا بِسَبَبِ تَجَادُلِي مَعَ الْحُكَّامِ. كَانَ الْحُكَّامُ مُحْطِئِينَ لِكِتَابِي جَادَلْتُ بِصَخْبٍ شَدِيدٍ وَجَلَسْتُ عَلَى الْمَقْعَدِ الْخَشْبِيِّ لِأَنِّي قَدَدْتُ أَعْصَابِي. أَظُنُّ أَنَّ أَعْظَمَ تَغْيِيرٍ شَهِدْتُهُ فِي تَصْرُفِي حِينَ آمَنْتُ كَانَ فِي هَذَا الْمَجَالِ، حَيْثُ شَعَرْتُ بِأَكْبَرَ تَبْكِيتٍ عَلَى خَطَايَايَ لِدَرَجَةٍ أَنِّي اعْتَبَرْتُ أَنَّ أَسْمَى فِضِيلَةٍ تَتَمَثَّلُ بِعَدَمِ فُقْدَانِكَ أَعْصَابِكَ أَبَدًا، وَبِعَدَمِ فُقْدَانِكَ صَوَابِكَ أَبَدًا، وَبِعَدَمِ إِطْلَاقِ الْعَنَانِ لِغَضَبِكَ. وَبِالطَّبْعِ، كَانَتْ زَوْجِيَّتِي تَعْرِفُنِي قَبْلَ أَنْ أُؤْمِنَ وَعَرَفْتَنِي بَعْدَ أَنْ آمَنْتُ وَكَانَتْ قَدْ مَضَتْ عَشْرُ سَنَوَاتٍ عَلَى زَوَاجِنَا، وَذَاتَ يَوْمٍ وَقَعَ خِلَافٌ بَيْنَنَا فِي مَطْبَخِنَا وَكُنْتُ أَحْمِلُ كُوبَ مَاءٍ بِيَدِي، وَبَدَأَ

الجدالِ يَحْتَدِمُ لِأَيِّ قُلْتُمْ لَهَا "هَذَا غَيْرُ عَادِلٍ لِأَنَّهُ لَا يُوْجَدُ أَحَدٌ فِي هَذَا الْعَالَمِ قَادِرٌ أَنْ يُثِيرَ غَضَبِي مِثْلَمَا تَفْعَلِينَ أَنْتِ، فَأَنْتِ تَعْرِفِينَ نِقَاطَ ضَعْفِي كُلِّهَا، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَنَا لَا أَهْتَمُّ لِأَمْرِ أَحَدٍ أَكْثَرَ مِنْكَ فِي هَذَا الْعَالَمِ. إِذَا، مَا مِنْ أَحَدٍ يَقْدِرُ أَنْ يُغِيظَنِي أَكْثَرَ مِمَّا تَفْعَلِينَ أَنْتِ".

إِذَا، احْتَدَمَ الْجِدَالُ بَيْنَنَا، وَفِي النِّهَايَةِ غَضِبْتُ جِدًّا لِذَرَجَةِ أَنِّي أَخَذْتُ ذَلِكَ الْكُوبَ وَصَرَبْتُ بِهِ عَرَضَ الْحَائِطِ، فَبَدَأَ الْمَاءُ وَالرُّجَاجُ يَتَنَاوَرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَنَظَرْتُ إِلَيَّ "فَيْسِنَا" وَبَدَأَتْ تَضْحَكُ، وَقَالَتْ "لَمْ أَظُنَّ يَوْمًا أَنَّكَ قَدْ تَفْعَلُ ذَلِكَ"، قَالَتْ "جَرَبْتُ طَوَالَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ وَمَارَسْتُ ضَعْفًا عَلَيْكَ وَامْتَحَنْتُكَ لِأَرَى أَيْنَ تَقْعَدُ أَعْصَابُكَ وَهَذَا قَدْ فَعَلْتُ"، ثُمَّ ضَحِكْتُ مِثْلَ لَكِي شَعْرَتُ بِالْإِحْرَاجِ. كُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي تَحَطَّيْتُ الْأَمْرَ تَمَامًا فِي حِينِ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ. لَكِنْ لَا يَجِبُ أَنْ نُسْتَفَرَّ بِسَهُولَةٍ. لِكُلِّ مِنَّا تَصَرُّفَاتٌ تُثِيرُ جُنُونَهُ، لَا يُمَكِّنُنِي تَحْمَلُ. لَا يُمَكِّنُنِي تَحْمَلُ السَّائِقِ الْحَطِيرِ عَلَى الطَّرِيقِ السَّرِيعِ الَّذِي يَقُودُ بِدُونِ أَنْ يُبَالِي بِحَيَاةِ الْآخَرِينَ، وَهُوَ يَتَنَقَّلُ بِسُرْعَةٍ بَيْنَ السِّيَّارَاتِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، فَأَضْرِبُ بُوقَ السِّيَّارَةِ وَقُولُ "فَيْسِنَا" "يَسْرُنِي أَنْ الْأَوْلَادَ لَيْسُوا فِي هَذِهِ السِّيَّارَةِ لِأَنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ سَوَفَ يَتَعَلَّمُونَهَا هِيَ "أَحْمَقُ". إِذَا، فِي مَوَاقِفٍ مُعَيَّنَةٍ أَنَا أَفْعِدُ صَوَابِي. لَكِنْ لَا يُفْتَرَضُ بِنَا أَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ، حَادِي الطَّبَاعِ وَاسْتِفْرَازِيَيْنِ وَعَدِيمِي الصَّبْرِ مَعَ الْآخَرِينَ.

يَجِبُ أَنْ أُسْرِعَ لِكِي أَخْتِمَ الْعِظَةَ. الْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ لَا تَنْظُرُ السُّوءَ، كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَتِمُّ حَتْنًا عَلَى أَنْ نَكُونَ سُذْجًا. مَا يَقُولُهُ بُولُسُ هُنَا هُوَ أَنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُعْطِيَ الْآخَرِينَ مَا يُعْرِفُ بِحُكْمِ الْمَحَبَّةِ، وَلَيْسَ أَنَّهُ يُفْتَرَضُ بِنَا أَنْ نَكُونَ سُذْجًا. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ يَزْتَكِبُونَ الْحَطِيئَةَ فِعْلًا، لَكِنْ مَا نَمِيلُ إِلَى فِعْلِهِ هُوَ أَنَّنَا نَنْظُرُ أَنَّهُ حِينِ يُحْطَى أَحَدُهُمْ إِلَيْنَا فَإِنَّا نَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ الْحَطِيئَةِ كَمَا لَوْ أَنَّهُ تَتِمُّ عَنِ أَسْوَأِ الدَّوَائِعِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، كَمَا لَوْ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ بَقِيَ مُسْتَبْقِظًا فِي اللَّيْلِ لِيُفَكَّرَ فِي طُرُقٍ يُؤَدِينَا بِهَا، فِي حِينِ أَنَّهُ قَلَّمَا تَكُونُ هَذِهِ الْحَالُ. مِنَ النَّادِرِ أَنْ نَكُونَ صَحِيحَةً أَنَا أَدُونَا وَهُمْ يُضْمِرُونَ لَنَا الشَّرَّ مُسَبِّقًا. وَحُكْمُ الْمَحَبَّةِ يَجِدُ أَفْضَلَ تَفْسِيرٍ مُمَكِّنٍ لِلْجَرَحِ. وَمِنَ الْمُؤَسِفِ أَنَّنَا نَمِيلُ إِلَى الْإِحْتِقَاطِ بِحُكْمِ الْمَحَبَّةِ لِأَنفُسِنَا، نَسْمَحُ لِأَنفُسِنَا بِإِثَارَةِ كُلِّ الشُّكُوكِ وَلَا نَسْمَحُ لِقَرِيبِنَا بِإِثَارَةِ أَيِّ شَيْءٍ. لَكِنْ هَذِهِ هِيَ خُلَاصَةُ الْأَمْرِ، إِنَّهَا لَا تَنْظُرُ السُّوءَ. مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْأَمْرَ يَتَحَطَّى عَدَمَ مُرَاعَاةِ أَفْكَارِ شَرِيرَةٍ، لَكِنَّا لَا نَنْظُرُ السُّوءَ فِي كُلِّ مَنْ يُحِبُّ بِنَا. قَدْ نَكُونُ سُذْجًا، لَكِنْ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ نُحْطَى لِقَرِيبِ السَّدَاجَةِ عَلَى أَنْ نُحْطَى لِقَرِيبِ الْإِفْتِرَاءِ.

"(الْمَحَبَّةُ) لَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ". يَقُولُ لَنَا بُولُسُ فِي رِسَالَةِ رُومِيَّةِ ١ إِنَّ حَطِيئَتَنَا كَبِيرَةٌ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى ارْتِكَابِنَا الْحَطِيئَةَ، بَلْ عَلَى تَشْجِيعِنَا الْآخَرِينَ عَلَى الْإِنْضِمَامِ إِلَيْنَا. وَنَحْنُ نَفْرَحُ حِينِ نَشْهَدُ ارْتِكَابَ الْخَطَايَا لِأَنَّ الْأَمْرَ يُبْرِزُنَا نَوْعًا مَا. الْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ لَا بِالْإِثْمِ. وَأَخِيرًا، يَقُولُ بُولُسُ إِنَّ "الْمَحَبَّةَ تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ". الْمَحَبَّةُ هِيَ الْمُقَوْمُ الَّذِي يُمَكِّنُ النَّاسَ مِنَ الْمُتَابِرَةِ،

وَيُمْكِنُ النَّاسَ مِنَ النَّحْمَلِ وَمِنَ الْاسْتِمْرَارِ فِي تَحْمَلِ الْأُمُورِ، وَمِنْ أَنْ يَنْبُثُوا فِي الرَّجَاءِ وَيَنْبُثُوا فِي الْإِيمَانِ. وَهُوَ يَقُولُ "الْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا. وَأَمَّا الثُّبُوتُ فَسَتَبْطُلُ، وَالْأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي، وَالْعِلْمُ فَسَيَبْطُلُ، الْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ. لِأَنَّنا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ، لَكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ." وَيَخْتِمُ بِالْقَوْلِ "لَمَّا كُنْتُ طِفْلاً كَطِفْلِ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ، وَكَطِفْلِ كُنْتُ أَفْطَنُ، وَكَطِفْلِ كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلَكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلًا أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ. فَإِنَّا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَاةٍ، فِي لُغْزٍ، لَكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لَوَجْهِهِ. الْآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ، لَكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ".

إِنَّهُ يَدْعُونَا إِلَى النُّضُوجِ كَمُؤْمِنِينَ. لَا أَعْرِفُ كَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ. هُنَا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ يَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نَكُونَ لَنَا إِيمَانُ الْأَطْفَالِ، هَذَا صَاحِبِ بَمَعْنَى، لَكِنْ يَرَى أَنَسُ كَثْرًا أَنَّ هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَنْضَجَ، لَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَفْتِشَ الْكُتُبَ، لَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَسْعَى إِلَى النُّضُوجِ فِي إِيمَانِي، وَفِي فَهْمِي يُمَكِّنُنِي أَنْ أَكْتَفِيَ بِشَرْبِ الْحَلِيبِ إِلَى الْأَبَدِ. يُوجَدُ فَرْقٌ بَيْنَ التَّشْبِهِ بِالطِّفْلِ وَالصِّبْيَانِيَّةِ. قَالَ بُولْسُ "لَمَّا كُنْتُ طِفْلاً كَطِفْلِ كُنْتُ أَسْأَلُكَ، كَطِفْلِ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ، وَكَطِفْلِ كُنْتُ أَفْطَنُ، وَكَطِفْلِ كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلَكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلًا، وَلَكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلًا أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ". إِنَّهُ يَدْعُونَا إِلَى إِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ بِنُضُوجِ. وَيَقُولُ أَحْيَرًا "أَمَّا الْآنَ فَيَنْبُثُ الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ"، هَذِهِ الْفَضَائِلُ الْمَسِيحِيَّةُ الْكَلَّاسِيكِيَّةُ الثَّلَاثُ: الْإِيمَانُ، وَالرَّجَاءُ، وَالْمَحَبَّةُ. "هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَكِنْ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ"، لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ الْعَطِيَّةُ، هَذَا هُوَ النَّمْرُ الَّذِي يُظْهِرُ بِأَوْضَحِ طَرِيقَةٍ مُمَكِّنَةٍ صِفَاتِ اللَّهِ نَفْسِهِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سِنْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعاةِ كَنِيْسَةِ الْقَدِيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكُلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كَلْمَا لَاهَوْتِيُونَ" (Everyone's A Theologian).